كلمات للفتيات

— ١ —

كما هى الحال عند الفتيان ، يكون التعقد المرتبط بظهور الميول الغرامية مقدراً فى الفتيات نتيجة جهلهن المطلق بطبيعتهن الخاصة ، وأنا أعتقد أن هناك شكا قليلا فى أن تجارب الفتاة المتوسطة أكثر من الفتى المتوسط ، فحرية مناقشة الحقائق العضوية للحياة مسموح بها للفتيان أكثر من الفتيات ولذلك فإنهم لا يظلون نهباً للحيرة والتساؤل ، وكلا الجنسين يغرق فى الخيال وأوهام الحب ولكن تفكير الفتيات فى هذا الأمر يكون سرياً وعنيفاً للغاية .

وكدليل على الجهل الإيحائى الموجود عند النساء خاصاً بتركيبهن الجنسى أسوق مثل تلك المرأة — فى العصور الوسطى — التى كانت تعتقد أن المرأة تلد أطفالها من سرتها وهذا مثال من خيال الطفولة الذى ظل فى عقل امرأة تصلح لتكون أماً لعدة أطفال ، وقد قصت على ممرضة مجربة أن كثيرات من النساء اللاتى قابلتهن لا يعلمن كيف يلدن الأطفال .

وتساؤل الفتيات الصغيرات عن عمليات الولادة تجعلنا نعطى هـــذا الموضوع حقه ، وكل الأفكار التافهة تجد طريقها إلى عقل الطفل فقد تعتقد الطفلة أن الأطفال يتكونون فى الامعاء ويخرجون إلى تيار الحياة كما يخرج البراز ، وقد رسخ فى ذهن طفلة فى يوم ما أنها لو ابتلعت برتقالة كاملة فانها ستضع طفلا ، فقد روت إحدى السيدات أنها ارتاعت عندما قبلها صبي لأول مرة لأنها كانت تعتقد أن القبلة تسبب للسيدات الحمل ، وأعتقد أن هذه حال كثيرات من النساء .

ويجب أن تتحقق إذن أن تعقدات السلوك الجنسى تبدأ فى أثناء الطفولة وتظهر هذه الأوهام مرة أخرى خلال أحلام المتعبين صحياً وعقلياً من كلا الجنسين وذلك بعد سنوات من الطفولة وفى بعض الحالات ترسخ هذه الأفكار فى الذهن وتصبح لها قوة الحقيقة ، وعندما يلقى بالحقيقة إلى فتاة ناضجة فإنه يخشى عليها أن تصاب بضرر لأن الصدمة تكون شديدة عليها وقد تحدث لها هستيريا أو بعض المتاعب العصبية ، والتجارب التى تمـــر بالعروس فى الشهر الأول للزواج إنما تهدد الفتيات غير المثقفات جنسياً وتقلب الميزان العقلى ، فهل توجد حقاً هذه المتاعب العقلية ؟ بالتأكيد لا وأن وجودها ليدل دلالة واضحة على خطأ الأساليب المتبعة فى ذلك المجتمع الذى يسمونه متحضراً ، والبدائيون أقرب إلى المنطق فى هذا الموضوع ، ولا ينبغى أن تصل أية فتاة إلى فترة البلوغ دون أن تحصل على نصائح من الأكبر سناً وينبغى للفتى كذلك أن يتزود لرجولته ، ونحن الذين نشفق على البدائيين ونرثى لحالهم ينبغى لنا أن نأخذ عنهم الكثير من السلوك

والصحة وقد يكون من المستحسن قبل أن نرسل الإرساليات لتعلم البدائيين دينا جديداً هو أن نجند جيشاً من المعلمين والمعلمات لتعليم الشباب فى هذه البلاد حقائق الحياة العميقة ؛ والألغاز والتعمية فى مسألة كيفية تكوين الطفل تترك أثراً سيئاً فى نفوس الفتيات ، فاذا لم تقدم المعلومات الصحية من الأبوين والكبار فى السن فإن الفتاة ستكون عرضة لسماع معلومات مشوهة من خادمة أو فى الطريق أو بالصدفة من الغرباء ، وقد يؤدى الفزع والخوف عند أول تجربة فى بعض الحالات إلى الانتحار ، وغالباً ما يسبب ظهور شعر العانة عند الفتيات نوعاً من الجزع والخوف من الشذوذ فالفتيات معرضات تبعاً لجهلهن الشامل بمسائل الجنس ، لصدمات جنسية .

— ٢ —

والحياء والخجل المصاحبان للعرى ولذكر المسائل الجنسية أكثر ظهوراً فى الفتيات عنها فى الفتيان ، والحياء الطبيعى يثير بعضاً من سحر الأنوثة ، أما الخجل الجنسى فهو صورة من صور الحياء الحسى (الشعورى) وقد يصبح ضارا ، وجميع إناث الحيوانات عندها درجات متفاوتة من الخوف من الذكر فى الخطوات الأولى من الحب ، ومن الطبيعى أن تجد الفتاة مثل هذه المخاوف قبل أن تطمئن تماما للتأثير الحقيقى لزوجها وتصبح قادرة على فهم المعنى الكامل روحياً وعضوياً للعملية الجنسية .

والمستوى الخالى من الطهارة نوع من تحاسن المرأة ، فالمرأة الطاهرة حقاً تتعلو إلى المسائل الجنسية والطبيعة البشرية دون خوف أو تهيب أما هؤلاء النسوة اللواتى تساورهن أفكار ملوثة عن هذه المسائل فانهن يقاومن أو يحاولن مقاومة الطبيعة والفتاة النقية العقل المجربة تستطيع أن تحقق النظر فى تمثال أو صورة لرجل عار فتعجب بهذا الخط أو هذا الشكل أو اللون دون أن تدور بذهنها أية فكرة رديئة أو تنظر إلى بعض أجزاء الجسم نظرات ذات مغزى خاص ، والفتاة التى تأثرت بأشخاص لا يستطيعون رؤية الجسم البشرى على حالته الطبيعية دون إظهار الخجل المصطنع ، أو بأولئك الأشخاص الذين يبدون الاحتقار لابدع ما صنعت الطبيعة ، تظل تلك الفتاة خجولة حية وتظل أفكارها غير نقية أبداً ، إن احترام الجسد وتقديسه لأول خطوة فى طريق الطهارة ، وإنه لمن السهولة بمكان خلال فترة المراهقة أن تكون الفتـــاة لنفسها صورة مشوهة عن الحب الجنسى وذلك عن طريق المحادثات المنزلية والمحادثات مع الأشخاص الجهلاء والتى غالباً ما تكون بليغة الضرر ، والاندفاع مع الشهوات إضرار مستمر بالتطور الروحى وكذلك الحياء ستار قاتم ضرب بين الإنسان والأشياء المقدسة فى الحياة وهناك طريق وسط بين الحياء والجرأة وهو طريق التفكير الخفيف المتزن ، فلتتقدم أمهات المستقبل وليقضين على هؤلاء الأعداء المعنويين وليثرن على حياة الانطواء والاستجابة للأفكار الملوثة .

وينبغي أن تفهم الفتيات جيداً أن الفتيان أيسر استجابة للتهيج الجنسي منهن ، وإنه لقانون طبيعي أن يكون الذكور من كل الأجناس أكثر نشاطاً من الأناث ، وأن يقع على عاتقهم العبء الأكبر في العملية الجنسية ، فجمال الأنثى يثير إعجاب الذكر ورغبته في الاستمتاع به ، وكذلك قوة الذكر ومهارته في المغازلة تثير إعجاب الأنثى ورغبتها ، وهذا هو القانون العالمي للحب والزواج .

والآن بعد أن أدركنا أن الشبان على استعداد للتهيج بسهولة أكثر من الفتيات ، فينبغي للفتيات أن يعتنين بألا يسمحن بالاختلاط بالقدر الذي يثير الشبان ، ومثل هذا الاختلاط المثير يكون في أغلب حالات الفتيات بريئاً ، ولكنه قد يؤدي إلى متاعب ، والشاب لا يستطيع المقاومة إذا استثير بهذا الشكل .

وأنا لا أحاول أن أقرر أن « الجنون » في الشبان عار ، فإنه أمر طبيعي بين الشباب عموماً ، ولكن هذا العبث في الحب له خطورته ، فإن استمر هذا « الجنون » وأصبح عادة ثابتة ، فإنه قد يقضي على قدرة المرء على الحب الصحيح ، وهناك كثير من الجبان الذين لم يستطيعوا الحصول على زوجات .

وإنه لمن الصواب عدم إثارة عاطفة قوية إذا لم يمكن إشباعها بطريق

طبيعي مشروع ، ومما لا جدال فيه أن أعصاب كلا الجنسين تتعب جداً إذا طالت مدة المغازلة ، وتوفرت المثيرات الطبيعية في الحبيبين ، ولذلك ينبغي على المراهقين من كلا الجنسين أن يتجنبوا هذه المثيرات ما أمكنهم .

ولا أقصد من ذلك أن أزعج المحبين من الشبان ، ولكني أشير إلى الخطر الذي قد ينشأ من تهيج بعض أعضاء الجهاز دون أن تكون الفرصة متوفرة لتهدئتها بإشباع الرغبة الناشئة ، وقد يحدث عند الشبان أثناء المغازلة أن تحدث بعض الظواهر العضوية لحالة التهيج ، ولا داعي طبعاً للقول بأن القبلة هي التعبير المباشر عن حالة التهيج هذه .

وقد لاحظت أنه في حالة العلاقات الطويلة بين الشبان والشابات أن كلا الطرفين تتعب أعصابه نتيجة للكبت المتصل للرغبات الجنسية استجابة لدواعي الفضيلة ، والواقع أن كثيراً من الشبان الذين يتجاوزون الحد المألوف من الإثارة يمارسون العادة السرية ، أو يلجأون إلى بنات الهوى ، ولاشك أن هناك بعض الأضرار من إطالة مدة الخطوبة .

— ٤ —

ومن الخير للفتاة أن تجد لها صديقاً في أبيها ، وللولد أن يجد صديقة في أمه ، لأنه من أكثر الأمور فائدة في تكوين الشخصية أن يجد الإنسان صديقاً عاقلا عطوفاً ممن يكبرونه سناً من الجنس الآخر .

وينبغي للفتاة ألا تصادق إلا شاباً قوي الخلق موثوقاً به ، وليس من أولئك الشبان الذين لا همَّ لهم إلا العبث وتمضية أوقات فراغهم مع الفتيات .

ويجب أن تكون الفتاة حذرة حينما تتصل بشاب سريع الاستجابة لرغباته الجنسية . فإن أمثال هؤلاء الشباب لا يكنون إحتراماً حقيقياً للأنوثة ، والرجل الذى يتصرف تصرفاً جنسياً معيناً مع فتاة ما دون أن يكون هدفه الزواج رجل خطر ، جاف العقل ، ولا ينبغى أن تنساق الفتاة فى علاقتها مع مثل هذا الرجل .

خاتمة

ولب المشكلة ، هو كيف يمكن أن نستخدم غريزتنا الجنسية لخير وسعادة المجموع ، وأبسط حل لهذا الإشكال هو الاستجابة الطبيعية ، فالباعث الجنسي طبيعي وقوي ، ومن ثم يجب الاستجابة له ، والنتيجة المنطقية لهذا هي العلاقات الجنسية الآنية التي تستمر فترة تطول أو تقصر تبعاً للظروف ، ولكنها لا تنتهي بالزواج الشرعي الدائم ، وهذا الحل ليس له من فائدة إلا ناحية الطبيعة ، غير أن له مضار لا يصح إغفالها ، وهذه المضار طبيعية ظاهرة تنشأ من طبيعة الحياة البشرية .

ولما كان الإنسان مركباً من عقل وروح وجسم ، فإن علاقة الرجل بالمرأة إنما يعظم حظها من السعادة والتوفيق بقدر إشباع هذه العناصر الثلاثة ، ولما كانت الرغبة الجنسية في حالة الصداقة من أسباب استمرار هذه الصداقة ، فإن هذه الرابطة إذا ما تحولت إلى رابطة لمجرد إرضاء مطالب الجسد ، فإن هذا يؤدي إلى متاعب روحية وعقلية لا حصر لها ، ويزداد تأثر المرأة بهذه الحالة ، فالحب في نظرها رباط مقدس ، مصحوب بالرغبة في زمالة دائمة للمحبوب في ظل السعادة الروحية الفاضلة ، ولكنها إذا ما استشعرت أن الغرض الرئيسي من الحب هو إرضاء مطالب الجسد فلا يلبث أن يتحول إلى مصدر شقاء ، بدلا من أن يكون دليل ثقة ومودة .

على أن للمسألة ناحيتها الاجتماعية أيضاً ، فالعلاقات الشريفة هي التي يمكن التحدث عنها بكثير من الزهو والفخر .

ولما كانت القوانين الاجتماعية لا تجيز الزواج المؤقت ، وعلى ذلك فإن الطرفين يلجآن إلى السرية والحيلة للوصول إلى مآربهما . ومن المتواضع عليه أن جميع سبل الخداع والمخاتلة تؤدي عادة إلى الفساد الخلقي وقد يقال من ناحية أخرى إن من الممكن اللجوء إلى بنات الهوى اللاتي لا هم لهن إلا الفائدة المادية ، وهذا رأي لا حاجة لإقامة الدليل على فساده فهو يحمل في طياته أدلة هدمه ، فالعدوى بالأمراض السرية تهدد معتنقيه في كل لحظة إذا أهملوا الوقاية التامة .

ويظل المريض بالأمراض السرية طول عمره منغصاً ، خطراً على نفسه وعلى نسله ، وهذا بالإضافة إلى دلالة الإصابة بمرض خبيث من هذه الأمراض على الحقارة والخسة ، وعدم إدراك وظيفة الغريزة الجنسية ، كما أنه يؤدي إلى فقد الاحترام الشخصي .

ولما كانت هاتان الطريقتان لإشباع الغريزة الجنسية غير صالحتين ، فمن الواجب أن نلتمس طريقة جديدة ، وكلمة « النشاط » هي رائدنا في هذا الأمر . فالتركيب البدني للإنسان كيفما كان لا يزيد عن كونه آلات حية لها صور متعددة من النشاط والإنتاج ولكي يعيش الكائن الحي لا بد له أن يحصل على حاجته من الطعام والهواء وما إليهما ثم إفراز الزائد عن حاجة الجسد على صور شتى ، فإذا نظرنا للموضوع من هذه الناحية لوجدنا أن الغريزة الجنسية إن هي إلا مظهر من مظاهر النشاط الانساني كغيرها من الأمور التي نأتيها .

ومن الحقائق البديهية أن الذين يزاولون عملا بدنياً كالعمال اليدويين وغيرهم يعودون فى المساء مجهدين حتى أنهم لا يستطيعون حصر أذهانهم فى شىء ما بالرغم من أن العمل الذى يزاولونه عمل آلى محض فالمختزن من نشاطهم يستهلك فى مجهودهم العضلى حتى إنه ليصعب عليهم بذل أى مجهود ذهنى دون أن يجدوا وقتاً كافياً طويلا من الراحة ، وكذلك الحال بالنسبة لذوى المهن الذهنية فإنهم لا يستطيعون أن يجدوا من الوقت متسعاً يسمح لهم بتغذية عقلائهم ، فإذا كان النشاط الجنسى هو أحد أوجه النشاط الإنسانى فعلى ذلك يمكن استخدام هذا النشاط بطريقة أخرى ، ومن المشاهد أن الذين يزاولون عملا يستغرق وقتهم ويشبع رغائبهم هم أقل الناس متاعب من الناحية الجنسية ، والحل العملى لهذه المشكلة أن الفتيان والفتيات بين السابعة عشرة والثانية عشرة الذين يوجد عندهم نشاط جنسى زائد ولا تسمح لهم ظروفهم بالزواج المبكر يجب عليهم أن يبحثوا عن عمل مناسب يستغرق نشاطهم البدنى والعقلى .

وهذا العمل يجب أن يوجد قبل أن يصبح الفتى أو الفتاة فى حاجة ماسة إليه ، وإذا تركنا إيجاد منفذ للنشاط الجنسى حتى ينزلق الفتى أو الفتاة فى تيار الحب الأول ، وحاولنا بعد ذلك أن نحول الاتجاه لناحية أخرى فعندئذ يصعب بل يستحيل إحداث مثل هذا العمل ، ويشعر الرجل والمرأة بحاجة كل منهما لصداقة الآخر الفكرية ، والوحدة والاعتزال والانطواء على النفس تعتبر الخطوة الأولى فى سبيل المغامرات الجنسية المؤلمة ، وأما فى المحال التى يعمل فيها الجنسان مختلطين فى ظروف الحياة العادية ، فإن

المتاعب الجنسية تصبح أقل انتشاراً ، وخير مثل لهذه الحالة نظام المدارس في اسكتلندا فالجنسان يختلطان منذ الطفولة الباكرة حتى إتمام الدراسة الجامعية فيصبح وجود الجنسين معاً أمراً عادياً ومن ثم يكثر أصدقاء الطرفين وبذلك فلا يجد الشاب أو الفتاة نفسه وحيداً في حياته .

ومن ناحية أخرى فإننا لا نستطيع التوفيق في بعض شئون الحياة إلا بضبط النفس مع بذل مجهود خاص ، وليس بدعاً أن نسيطر على نشاطنا الجنسي ، فالأطفال أنفسهم يدركون أنهم يعيشون في عالم يتوقف تحقيق السعادة فيه إلى حد كبير على ضبط النفس والتعاون وخير ما يوجهون إليه هو إفهامهم أن تحكمهم في غرائزهم الجنسية إنما هو جزء من تنظيمهم لحياتهم بصفة عامة .

ولا يسمح العرف لأي إنسان أن يعبر عن رغائبه الجنسية علانية ، وعلى العكس من ذلك فاننا يجب أن ندرك حق الإدراك أن حياتنا المتمدينة إنما تقوم على تنظيم غرائزنا الفطرية . والشخص الذي يحيط بجميع الحقائق العلمية عن تركيبه البدني ويدرك الحقائق العلمية عن شئون الغريزة الجنسية كما يعرف كيف يضبط نفسه ويراعي مستلزمات الزمالة ، لا يجد صعوبة ما في تنظيم رغباته الجنسية .

ومطمح كل شاب أو فتاة هو أن يوفق إلى زواج مبكر سعيد حيث يقوم أحد الطرفين باختبار صفات الطرف الآخر الخلقية والعقلية — في ظروف الحياة العادية — ومثل هذا الزواج يشبع المطالب الجنسية والمنزلية كما أنه يشبع بصفة خاصة غريزة الأبوة ، وتقدم لنا الحياة أدلة ملموسة في جميع

المصور على أن الزواج ضرورة لازمة ، وأن الكائن البشرى (رجلا كان أو امرأة) لا يستطيع أن يعيش بمفرده ، وأن وحدة الإنسانية إنما هى فى الواقع نتيجة للزمالة بين الرجل والمرأة معاً .

وإنا لنرجو أن يوفق الشبان والفتيات فى التغلب على غرائزهم الجنسية وأن يكونوا أبناء لآباء معتدلين قد حمت لهم ظروف الحياة الاجتماعية باحاطة التامة ، خلال الدراسة بمراحلها حتى التعليم الجامعى ، وأن يكونوا قد أحاطوا بالمسألة الجنسية وفهموا تفاصيل هذه المشكلة المعقدة .

ونرجو أن يدرك الجميع أن المسألة الجنسية مسألة عادية وأنها جميلة محببة وأن جمالها يظهر عند ما تأخذ حقها من العمل ، وأن يجدوا منافذ طبيعية يوجهون نشاطهم إليها حتى يستطيعوا أن يجدوا العمل الذى يعيشون منه ومن ثم يمكنهم أن يتزوج أحدهم الآخر ، ويستمر كل منهما فى عمله الذى ارتضى لنفسه حتى يمكن أن يتقاسما الأعباء المالية المنزلية بدلا من أن يتحملها الزوج وحده ، وليس هذا من قبيل الخيال والأحلام وإنما يمكن تحقيقه إذا ما أدرك كل منا حقيقة واجبه فى الحياة وواجبه نحو الآخرين .